الأكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy

الفلسفة الحديثة

Modern Philosophy

اسم المحاضر: د. حمدان العكله

المحاور

- المخرجات المتوقعة من الدرس
- المقدمة
- **أولاً: السياق التاريخي الذي مهد لظهور الفلسفة الحديثة**
- **ثانياً: المذهب العقلاني**
- **ثالثاً: المذهب التجريبي**
- **رابعاً: الفلسفة النقدية**
- الخاتمة
- الجانب العملي

المخرجات المتوقعة من الدرس

- بعد إتمام هذا المقرر، يُتوقع من الطالب أن يكون قادراً على:

1. القدرة على شرح مفاهيم أساسية في الفلسفة الحديثة مثل الشك، السببية، الذات، والحرية.
2. تمييز الفروق بين الفلاسفة العقلانيين والتجريبيين والنقديين.
3. تحليل نصوص فلسفية من القرن السابع عشر حتى أواخر القرن الثامن عشر.
4. ربط الأفكار الفلسفية الحديثة بالقضايا العلمية والسياسية والثقافية في عصرها

المقدمة

- مرحباً بكم في رحلتنا عبر الفلسفة الحديثة، وهي حقبة ثورية امتدت تقريباً من القرن السابع عشر حتى أواخر القرن الثامن عشر، في هذه الدروس، لن نستعرض أفكار فلاسفة عظماء فحسب، بل سنشهد معاً ولادة العقل الحديث نفسه، سنرى كيف انتقل الفكر الأوروبي من الاعتماد على سلطة التراث والتقاليد، سواء كانت دينية أو فلسفية قديمة، إلى الاعتماد على قدرة العقل البشري الفردي كمعيار أساسي للحقيقة.
- إنها قصة البحث الجريء عن اليقين في عالم اهتزت فيه كل الثوابت القديمة، قصة تبدأ بالشك الشامل وتنتهي بمحاولة بناء صرح للمعرفة على أسس جديدة وصلبة، هذه الفترة لم تشكل الفلسفة فقط، بل رسمت ملامح عالمنا العلمي والسياسي والثقافي المعاصر.

المقدمة

- لكن، ما أهمية دراسة الفلسفة الحديثة اليوم؟
- قد تبدو هذه النقاشات مجردة، لكن تأثيرها يمتد إلى كل جوانب حياتنا اليوم، مفاهيم مثل "حقوق الإنسان"، "الديمقراطية الليبرالية"، "العقد الاجتماعي"، و"فصل السلطات" هي نتاج مباشر لفلسفة جون لوك وغيره، المنهج العلمي الذي تقوم عليه التكنولوجيا الحديثة مدين في أسسه الفلسفية لبيكون وديكارت وهيوم، فكرة "الذات" الفردية المستقلة التي تسعى لتحقيق ذاتها، والتي تشكل أساس الثقافة الغربية الحديثة، تبلورت في هذه الفترة.
- فهم الفلسفة الحديثة ليس مجرد تمرين أكاديمي، بل هو فهم لجذور عالمنا الفكرية، وهو ما يمكننا من تحليل ونقد أسس مجتمعاتنا ومعارفنا بشكل أعمق.

أولاً: السياق التاريخي الذي مهد لظهور الفلسفة الحديثة

1. ما هي الفلسفة الحديثة؟
2. عصر النهضة والإصلاح الديني
3. الثورة العلمية بوصفها النموذج الجديد للمعرفة
4. التحول من الفكر المدرسي (السكولائي) ونقد الماضي
5. الإشكاليات الكبرى: أسئلة العصر الحديث

أولاً: السياق التاريخي الذي مهد لظهور الفلسفة الحديثة

1. ما هي الفلسفة الحديثة؟

تُعرف الفلسفة الحديثة بأنها تلك الفترة من تاريخ الفكر الغربي التي تلت فلسفة العصور الوسطى (الفلسفة المدرسية أو السكولائية) وسبقت الفلسفة المعاصرة، زمنياً، يؤرخ لها عادة بالقرن السابع عشر والثامن عشر، بدءاً من أعمال رينيه ديكارت وانتهاءً بفلسفة إيمانويل كانط. السمة الجوهرية لهذه الحقبة هي "الذاتية" ((Subjectivity؛ أي التحول نحو الذات المفكرة كمصدر ومنطلق للمعرفة والأخلاق، ولم يعد السؤال "ماذا قال أرسطو؟" أو "ماذا يقول الكتاب المقدس؟" هو الأهم، بل "ماذا يمكنني أن أعرف بيقين بنفسي؟".

هذا التحول أنتج تركيزاً هائلاً على "نظرية المعرفة" (الإبستمولوجيا)، أي البحث في طبيعة المعرفة البشرية، مصادرها، وحدودها، كما تميزت هذه الفترة بالسعي الحثيث نحو "المنهج"، أي إيجاد طريقة تفكير منظمة وصارمة تضمن الوصول إلى الحقيقة، على غرار النجاح الباهر الذي حققته الرياضيات والفيزياء.

أولاً: السياق التاريخي الذي مهد لظهور الفلسفة الحديثة

2. عصر النهضة والإصلاح الديني:

لم تظهر الفلسفة الحديثة من فراغ، لقد كانت نتاج تحولات عميقة بدأت قبلها بقرون، حيث أن عصر النهضة (القرن 14-16) أعاد إحياء الاهتمام بالفنون والآداب والفلسفات الكلاسيكية (الإغريقية والرومانية)، مما خلق روحاً إنسانية تحتفي بقدرات الإنسان وإنجازاته، بدلاً من التركيز فقط على العالم الآخر، هذا التوجه "الأنسني" شجع على النقد والتشكيك في السلطات التقليدية. بالتوازي، جاء الإصلاح الديني في القرن السادس عشر بقيادة شخصيات مثل مارتن لوثر، ليكسر احتكار الكنيسة الكاثوليكية لتفسير النصوص الدينية، دعا لوثر إلى أن كل فرد يمكنه قراءة وتفسير الكتاب المقدس بنفسه، مما أسس لمبدأ "الفردية" في العلاقة مع الحقيقة الدينية، هذه الدعوة إلى التفسير الفردي والتشكيك في السلطة الدينية العليا مهدت الطريق أمام الفلاسفة ليطبقوا المبدأ نفسه على المعرفة بشكل عام، متسائلين: لماذا لا نكون نحن مصدر أحكامنا المعرفية؟

أولاً: السياق التاريخي الذي مهد لظهور الفلسفة الحديثة

3. الثورة العلمية بوصفها النموذج الجديد للمعرفة:

إذا كان عصر النهضة والإصلاح قد خلقا المناخ الثقافي، فإن الثورة العلمية (القرن 16-17) قدمت المنهج والنموذج، لقد غيرت شخصيات مثل نيكولاس كوبرنيكوس (الذي أزاح الأرض عن مركز الكون)، ويوهانس كيبلر، وغاليليو غاليلي (الذي أكد نموذج كوبرنيكوس عبر التلسكوب)، وإسحاق نيوتن (الذي صاغ قوانين الحركة والجاذبية) نظرة الإنسان إلى الكون بشكل جذري. لم يعد الكون مكاناً غامضاً تحكمه أهواء إلهية، بل أصبح نظاماً رياضياً دقيقاً يمكن فهمه والتنبؤ به من خلال العقل والملاحظة.

النجاح المذهل للفيزياء والرياضيات في تفسير العالم الطبيعي أصبح هو المعيار الذهبي للمعرفة اليقينية، حيث تساءل فلاسفة الحداثة: إذا كان بإمكاننا تحقيق هذا اليقين في فهم الطبيعة، فلماذا لا نطبق المنهج نفسه (المنهج الرياضي الهندسي، المنهج التجريبي) على الفلسفة نفسها لفهم حقيقة الوجود، طبيعة النفس البشرية، وأسس الأخلاق؟

أولاً: السياق التاريخي الذي مهد لظهور الفلسفة الحديثة

4. التحول من الفكر المدرسي (السكولائي) ونقد الماضي:

كانت الفلسفة السائدة في العصور الوسطى هي الفلسفة المدرسية (السكولائية)، وهي نظام فكري حاول التوفيق بين فلسفة أرسطو والعقيدة المسيحية، اعتمد هذا الفكر بشكل كبير على القياس المنطقي الأرسطي.

ومع بزوغ العصر الحديث، بدا هذا المنهج عقيماً وغير منتج، وجه فلاسفة مثل فرانسيس بيكون ورينيه ديكارت نقداً لاذعاً له، معتبرين أنه لا ينتج معرفة جديدة بل يكتفي بتحليل وتصنيف ما هو معروف بالفعل، كان الجدل المدرسي يدور في حلقة مفرغة من المصطلحات الغامضة والنقاشات اللفظية التي لا تصل إلى نتيجة حاسمة (مثل الجدل حول عدد الملائكة الذين يمكنهم الرقص على رأس دبوس). كان البحث عن منهج جديد، منهج يبدأ من التجربة المباشرة أو من البداهات العقلية الواضحة، هو رد الفعل المباشر على ما اعتبره فلاسفة الحداثة "ظلام" العصور الوسطى الفكري.

أولاً: السياق التاريخي الذي مهد لظهور الفلسفة الحديثة

5. الإشكاليات الكبرى: أسئلة العصر الحديث

نتيجة لهذا التحول الجذري، تبلورت مجموعة من الإشكاليات الفلسفية الكبرى التي هيمنت على النقاش طوال قرنين:

1. الإبستمولوجيا (نظرية المعرفة): هذا هو السؤال المركزي، ما هو أصل المعرفة؟ هل هو العقل أم التجربة الحسية؟ ما هي حدود قدرتنا على المعرفة؟ هل يمكننا معرفة العالم كما هو في الواقع، أم فقط كما يبدو لنا؟
2. الميتافيزيقا (علم ما وراء الطبيعة): على الرغم من نقدها، استمرت الأسئلة الميتافيزيقية. ما هي حقيقة الوجود؟ هل يتكون العالم من جوهر واحد (مادي أو روحي) أم من جوهرين (عقل ومادة)؟ ما هي طبيعة الله وعلاقته بالعالم؟
3. الطبيعة البشرية والأخلاق: من هو الإنسان؟ هل هو كائن عقلاني بالأساس أم تحركه الأهواء والمشاعر؟ ما هو مصدر الأخلاق؟ هل هي أوامر إلهية، أم قوانين عقلية، أم أعراف اجتماعية؟ وما معنى الحرية الإنسانية في عالم قد يكون خاضعًا لقوانين طبيعية حتمية؟

أولاً: السياق التاريخي الذي مهد لظهور الفلسفة الحديثة

التياران الرئيسيان: العقلانية مقابل التجريبية

للإجابة على هذه الإشكاليات، ظهر منهجان فلسفيان متعارضان شكّلا القطبين الرئيسيين للفلسفة الحديثة:

- المذهب العقلي: يرى أصحابه (ديكارت، سبينوزا، لايبنتز) أن العقل هو المصدر الأساسي للمعرفة اليقينية، يعتقدون بوجود أفكار أو مبادئ فطرية في العقل تسبق أي تجربة حسية، النموذج المثالي للمعرفة لديهم هو الرياضيات، حيث يمكن استنتاج حقائق معقدة من مجموعة من البديهيات الأولية الواضحة.

- المذهب التجريبي: على النقيض، يرى أصحابه (لوك، بيركلي، هيوم) أن التجربة الحسية هي المصدر الوحيد للمعرفة. يرفضون فكرة وجود أفكار فطرية، ويؤكدون أن العقل عند الولادة يكون "صفحة بيضاء" تملؤها التجربة بمرور الوقت. النموذج المثالي للمعرفة لديهم هو العلوم الطبيعية القائمة على الملاحظة والتجربة، والصراع والجدل بين هذين التيارين هو المحرك الأساسي لتطور الفلسفة الحديثة.

ثانياً: المذهب العقلاني

1. رينيه ديكارت (1596-1650) وثورة العقلانية
2. باروخ سبينوزا (1632-1677)
3. غوتفريد فيلهلم لايبنتز (1646-1716)

.

ثانياً: المذهب العقلاني

ثانياً: المذهب العقلاني

والآن، بعد أن رسمنا ملامح المشهد العام، حان الوقت للتعرف على الرجل الذي يُعتبر بالإجماع "أبو الفلسفة الحديثة". رينيه ديكارت، عالم الرياضيات والفيزياء والفيلسوف الفرنسي، هو من أطلق شرارة هذه الثورة الفكرية، في مواجهة عالم من الشكوك، قرر ديكارت أن يهدم كل معتقداته القديمة ويبدأ من الصفر، باحثاً عن نقطة يقين واحدة لا تقبل الشك ليبني عليها صرح المعرفة بأكمله.

رحلته الفكرية المذهلة من الشك الجذري إلى الكوجيتو الشهير

"أنا أفكر، إذن أنا موجود" هي نقطة البداية الحقيقية لمغامرتنا في الفلسفة الحديثة.

- هنا سندرس، ديكارت، سبينوزا، لايبنتز.

ثانياً: المذهب العقلاني

1. رينيه ديكارت (1596-1650) وثورة العقلانية:

وُلد رينيه ديكارت في فرنسا في فترة كانت أوروبا تموج بالصراعات الدينية والشكوك الفكرية، وتلقى تعليماً يسوعياً ممتازاً، لكنه خرج منه بشعور عميق بخيبة الأمل، وقد وجد أن كل ما تعلمه من الفلسفة التقليدية كان مجالاً للجدل اللامتناهي، بينما كانت الرياضيات وحدها تقدم له اليقين والوضوح، هذه التجربة المبكرة شكلت مشروعه الفلسفي مدى الحياة، المتمثل بتطبيق الوضوح واليقين الرياضي على الفلسفة.

لم يكن ديكارت فيلسوفاً منعزلاً في برج عاجي، بل كان أيضاً عالماً بارزاً، حيث أسس الهندسة التحليلية التي سمحت بالجمع بين الجبر والهندسة، وقدم مساهمات هامة في علم البصريات والفيزياء، هذا التكوين المزدوج، كعالم رياضيات وفيلسوف، هو مفتاح فهم منهجه الذي غير وجه الفكر الغربي إلى الأبد.

ثانياً: المذهب العقلاني

1. 1. مشروع اليقين الديكارتي:

كان هدف ديكارت الأسمى هو إعادة بناء صرح المعرفة الإنسانية بأكمله على أساس متين لا يتزعزع، واستخدم ديكارت استعارة البناء: فكما لا يمكن تشييد مبنى شاهق على أساس من الرمل، لا يمكن بناء نظام معرفي موثوق على معتقدات غير مؤكدة، وشعر بأن كل المعارف التي تلقاها كانت مليئة بالشكوك والتناقضات، لذلك قرر أن يتخذ خطوة جذرية، تتمثل بهدم المبنى بأكمله، أي التخلي مؤقتاً عن كل معتقداته، والبحث عن "نقطة أرشميدية"، نقطة يقين واحدة مطلقة، مهما كانت بسيطة، ليستخدمها كرافعة يرفع بها صرح المعرفة كله.

هذا البحث عن اليقين المطلق هو ما يميز ديكارت ويجعله نقطة انطلاق الحداثة الفلسفية.

ثانياً: المذهب العقلاني

2. 1. الشك المنهجي بوصفه أداة الهدم للوصول إلى الحقيقة:

لم يكن شك ديكارت شكاً عدمياً من أجل الشك نفسه (مثل شك الشكاك اليونانيين القدماء)، بل كان "شكاً منهجياً"، أي أداة أو منهج يستخدمه للوصول إلى الحقيقة، لقد قرر أن يعتبر أي معتقد يمكن الشك فيه، ولو بنسبة ضئيلة، باطلاً تماماً بشكل مؤقت، طبق ديكارت هذا المنهج على مراحل:

1. الشك في الحواس: الحواس تخدعنا أحياناً (العصا تبدو منكسرة في الماء، الأشياء البعيدة تبدو صغيرة)، وبما أنها خدعتنا مرة، فمن الحكمة ألا نثق بها ثقة مطلقة، إذن فكل المعرفة القادمة من الحواس مشكوك فيها.
2. الشك في الواقع المادي (حجة الحلم): عندما أكون نائماً، تبدو أحلامي واقعية تماماً، كيف يمكنني أن أكون متأكداً الآن، في هذه اللحظة، من أنني لست أحلم؟ لا يوجد معيار حاسم للتفريق بين اليقظة والحلم، إذن فوجود العالم الخارجي المادي نفسه يصبح موضع شك.

ثانياً: المذهب العقلاني

3. الشك في الحقائق العقلية والرياضية (فرضية الشيطان الماكر): قد يبدو أن بعض الحقائق، مثل 2+3=5 أو أن للمربع أربعة أضلاع، تظل صحيحة سواء كنت نائماً أو مستيقظاً، ولكن يفترض ديكارت وجود "شيطان ماكر" أو "إله خبيث" بالغ القوة والخبث، يكرس كل جهده لتضليلي وجعلي أصدق هذه الأفكار الواضحة بينما هي في الحقيقة خاطئة، هذه الفرضية المتطرفة تسمح له بالشك حتى في أكثر البديهيات العقلية وضوحاً.

ثانياً: المذهب العقلاني

3. 1. الكوجيتو: "أنا أفكر، إذن أنا موجود":

في خضم هذا الشك الجذري الذي دمر كل شيء، وجد ديكارت أخيراً صخرة اليقين التي كان يبحث عنها، لاحظ أنه حتى لو كان الشيطان الماكر يضلله في كل شيء، وحتى لو كان يحلم، وحتى لو كانت حواسه تخدعه، فهناك حقيقة واحدة لا يمكن الشك فيها لكي يتم خداعه، أو لكي يحلم، أو لكي يشك، يجب أن يكون "موجوداً" كشيء يقوم بفعل الشك والتفكير، لا يمكن للشيطان أن يجعلني أعتقد أنني موجود بينما أنا غير موجود، لأن فعل الاعتقاد نفسه يثبت وجودي، من هنا، توصل إلى حقيقته الأولى المطلقة: "أنا أشك، إذن أنا أفكر. أنا أفكر، إذن أنا موجود".

هذا هو "الكوجيتو"، أول يقين في نظام ديكارت، وهو أساس لا يتزعزع لأنه يثبت نفسه في كل مرة أفكر فيه.

ثانياً: المذهب العقلاني

4. 1. جوهر الإنسان هو الفكر:

بعد أن أثبت "أنه موجود"، تساءل ديكارت: "ولكن ما أنا؟". لقد شك في وجود جسده، لأن الجسد ينتمي إلى العالم المادي الذي لا يزال موضع شك، لكنه لا يستطيع الشك في أنه "يفكر"، إذن استنتج أن جوهره الأساسي، ما يجعله هو، ليس جسده بل فكره.

عرّف نفسه بأنه "شيء مفكر" أو "ذات مفكرة"، والتفكير هنا يشمل كل عمليات الوعي كالشك، الفهم، التخيل، الشعور، والإرادة، هذه هي اللحظة التي ولدت فيها "الذات" الحديثة، كائن جوهره الوعي والفكر، منفصل ومستقل عن العالم المادي، بمعنى أصبح العقل هو العلامة المميزة للوجود الإنساني.

ثانياً: المذهب العقلاني

5. 1. البرهان على وجود الله:

قدم ديكارت براهين عقلية (قبلية) على وجود الله، أشهرها البرهان القائم على فكرة الكمال:

1. أنا كائن ناقص (لأنني أشك)، ولكني أملك في ذهني فكرة عن كائن كامل مطلق (الله).
2. من أين أتت هذه الفكرة؟ لا يمكن أن تأتي مني، لأنني ناقص، والناقص لا يمكن أن يخلق الكامل (مبدأ السببية: يجب أن تكون العلة مساوية للمعلول في الحقيقة على الأقل).
3. إذن، لا بد أن هذه الفكرة قد وضعها في ذهني كائن كامل بالفعل، وهو الله.

بمجرد إثبات وجود إله كامل، يستنتج ديكارت أن هذا الإله لا يمكن أن يكون مخادعاً، لأن الخداع علامة نقص، وبما أن الله كامل وغير مخادع، فهو الضامن لصحة الأفكار "الواضحة والمتميزة" التي أدركها بعقلي، بما في ذلك المبادئ الرياضية ووجود العالم الخارجي (طالما أنني أدركه بوضوح وتميز).

ثانياً: المذهب العقلاني

6. 1. العالم المادي:

بعد أن ضمن الله عدم الخداع، أصبح بإمكان ديكارت الآن أن يثق في وجود عالم مادي خارج عن ذاته المفكرة، ولكن ما هي طبيعة هذا العالم؟ يرى ديكارت أن الجوهر الأساسي للمادة وكل الأجسام المادية ليس اللون أو الرائحة أو الصلابة (فهذه كيفيات ثانوية تعتمد على إدراكنا الحسي)، بل هو "الامتداد" في الأبعاد الثلاثة (الطول والعرض والعمق).

العالم المادي بأكمله هو «شيء ممتد»، وهو عالم آلي وهندسي بحت، يمكن وصفه بالكامل من خلال قوانين الرياضيات والميكانيكا.، فهذا التصور للعالم كآلة ضخمة كان له تأثير هائل على تطور الفيزياء الحديثة.

ثانياً: المذهب العقلاني

7. 1. الثنائية الديكارتية، وإشكالية العقل والجسد:

قسم ديكارت الواقع إلى جوهرين مختلفين تماماً ومستقلين عن بعضهما البعض:

1. جوهر مفكر: العقل، النفس، الوعي. وهو غير ممتد، غير مادي، وحر.
2. جوهر ممتد : الجسد، المادة، العالم الفيزيائي، وهو غير مفكر، وخاضع لقوانين الطبيعة الحتمية.

هذه "الثنائية الديكارتية" خلقت واحدة من أكبر الإشكاليات في تاريخ الفلسفة: إذا كان العقل والجسد جوهرين منفصلين تمامًا، فكيف يتفاعلان؟ كيف يمكن لقرار عقلي غير مادي (مثل إرادة رفع يدي) أن يسبب حركة في جسدي المادي؟ حاول ديكارت حل هذه المشكلة بالقول إن التفاعل يحدث في "الغدة الصنوبرية" في الدماغ، لكن هذا الحل لم يكن مقنعاً لأحد وظلت المشكلة قائمة لتشغل الفلاسفة من بعده.

ثانياً: المذهب العقلاني

2. باروخ سبينوزا (1632-1677):

بعد ديكارت، جاء باروخ سبينوزا، الفيلسوف الهولندي من أصل يهودي برتغالي، ليأخذ المنهج العقلاني إلى أقصى نتائجه المنطقية، عاش سبينوزا حياة بسيطة وهادئة، رافضاً المناصب الأكاديمية المرموقة ليتفرغ لفلسفته، وعمل في مهنة متواضعة هي صقل العدسات، بسبب أفكاره الجريئة، تم حرمانه من المجتمع اليهودي واتهامه بالإلحاد، أشهر أعماله هو كتاب "الأخلاق، مبرهنة بطريقة هندسية"، من العنوان، يتضح منهجه: لقد حاول أن يبني نظاماً فلسفياً كاملاً بنفس الصرامة واليقين الذي نجده في هندسة إقليدس، يبدأ الكتاب بتعريفات ومسلمات وبديهيات، ثم ينتقل ليبرهن على نظريات حول الله، العقل، والعواطف البشرية. بالنسبة لسبينوزا، الفلسفة ليست مجرد تأمل، بل هي طريق للوصول إلى السعادة الحقيقية والخلاص من خلال الفهم العقلاني للواقع.

ثانياً: المذهب العقلاني

1. 2. وحدة الوجود:

كانت نقطة انطلاق سبينوزا هي نقد ثنائية ديكارت، وجد سبينوزا أن فكرة وجود ثلاثة جواهر منفصلة (الله، العقل، المادة) غير منطقية وتخلق مشاكل لا حل لها، أبرزها مشكلة التفاعل، بدلاً من ذلك، وصل سبينوزا إلى استنتاج ثوري وجريء، مفاده بأنه لا يوجد في الكون إلا جوهر واحد، وهذا الجوهر هو "الله"، ولكن "الله" عند سبينوزا ليس الإله الشخصي للديانات الإبراهيمية، الذي يخلق العالم ويفارقه، بل الله هو العالم نفسه، هو الطبيعة الكلية، وعبارته الشهيرة هي "الله أو الطبيعة" كل ما هو موجود، من أصغر ذرة إلى أعظم مجرة، ومن أبسط فكرة إلى أعمق عاطفة، ليس إلا جزءاً من هذا الجوهر الإلهي الواحد، هذا الموقف الفلسفي يُعرف بـ"وحدة الوجود"، وهو يعني أن الله حالٌّ في كل شيء، وليس مفارقاً له.

ثانياً: المذهب العقلاني

2. 2. الجوهر الواحد وصفاته اللانهائية:

يعرّف سبينوزا الجوهر بأنه "ما يوجد في ذاته ويُفهم بذاته"، أي أنه لا يعتمد على شيء آخر لوجوده، وبناءً على هذا التعريف، لا يمكن أن يكون هناك إلا جوهر واحد، لأنه لو كان هناك جوهران، لكان كل منهما يحد من الآخر، وبالتالي لن يكون أي منهما مستقلاً تماماً، هذا الجوهر الواحد (الله) يمتلك عدداً لا نهائياً من الصفات كل صفة منها تعبر عن جوهره الأبدي واللانهائي، نحن كبشر لا يمكننا أن ندرك من هذه الصفات اللانهائية إلا اثنتين فقط: الفكر والامتداد، وهنا يكمن حل سبينوزا الذكي لمشكلة ديكارت: الفكر والامتداد (العقل والمادة) ليسا جوهرين منفصلين، بل هما مجرد صفتين أو وجهين لعملة واحدة هي الجوهر الإلهي الواحد، كل كائن في الوجود هو تجلٍّ لهذا الجوهر الواحد تحت هاتين الصفتين في نفس الوقت، فجسد الإنسان هو تجلٍّ لصفة الامتداد، وعقله هو تجلٍّ لصفة الفكر، لكنهما في الحقيقة شيء واحد يُنظر إليه من منظورين مختلفين.

ثانياً: المذهب العقلاني

3. 2. الحرية والضرورة :

في عالم سبينوزا، كل شيء يحدث وفقاً لضرورة مطلقة تنبع من طبيعة الله (أو الطبيعة)، لا يوجد شيء عشوائي أو ممكن، فكل حدث هو نتيجة حتمية لسلسلة لا نهائية من الأسباب والنتائج، هذا الموقف يبدو أنه يلغي الحرية الإنسانية تماماً، لكن سبينوزا يقدم تعريفاً جديداً للحرية، الكائن يكون "حراً" عندما يتصرف وفقاً لطبيعته الخاصة فقط، ويكون "مقيَّداً" عندما يكون مدفوعاً بأسباب خارجية، معظم البشر عبيد لأهوائهم وعواطفهم (مثل الخوف، الأمل، الكراهية)، لأن هذه العواطف هي ردود فعل على مؤثرات خارجية لا يفهمونها، أما الإنسان الحر حقاً، فهو الذي يستخدم عقله ليفهم مكانه في النظام الضروري للطبيعة، عندما تفهم لماذا تحدث الأمور على النحو الذي تحدث به، فإنك تتحرر من العبودية للعواطف السلبية. الحرية إذن ليست في مخالفة قوانين الطبيعة، بل في فهمها والعمل بمقتضاها بوعي، إنها الانتقال من العاطفة إلى الفعل القائم على الفهم العقلي.

ثانياً: المذهب العقلاني

3. غوتفريد فيلهلم لايبنتز (1646-1716):

كان لايبنتز، الفيلسوف والرياضي والدبلوماسي الألماني، شخصية فذة وعبقرية شاملة، على عكس سبينوزا الذي وحد كل شيء في جوهر واحد، ذهب لايبنتز في الاتجاه المعاكس تماماً، معتبراً أن الكون يتكون من عدد لا نهائي من الجواهر، كان لايبنتز مدفوعاً بهاجس التوفيق والمصالحة، التوفيق بين الفلسفة القديمة والحديثة، بين العقلانية والتجريبية، وبين العلم والدين. حاول أن يقدم نظاماً ميتافيزيقياً يحل مشاكل ديكارت وسبينوزا مع الحفاظ على مفاهيم أساسية مثل فردية النفس وحرية الإرادة ووجود إله شخصي، أشهر أعماله التي تلخص فلسفته هي "المونادولوجيا" و"مقالات في الثيوديسيا" (العدالة الإلهية).

ثانياً: المذهب العقلاني

1. 3. نظرية المونادات:

رفض لايبنتز فكرة ديكارت عن المادة كجوهر ممتد وقابل للقسمة إلى ما لا نهاية، فإذا كانت المادة قابلة للقسمة، فلا يمكن أن تكون جوهراً حقيقياً، لأن الجوهر يجب أن يكون وحدة بسيطة غير قابلة للتجزئة، كما رفض فكرة سبينوزا عن الجوهر الواحد لأنها تلغي فردية الكائنات، الحل الذي قدمه لايبنتز هو "المونادات".

الموناد هو جوهر فردي، بسيط، غير مادي، وغير قابل للتجزئة، إنها "ذرة روحية" أو نقطة ميتافيزيقية، الكون بأسره يتكون من عدد لا نهائي من هذه المونادات، كل موناد هو مركز للقوة والنشاط، وهو يعكس الكون بأسره من وجهة نظره الخاصة، مثل مرآة حية للكون، المونادات لا تتفاعل مع بعضها البعض، فكل موناد "بلا نوافذ"، أي أنه يتبع قانونه الداخلي الخاص بالتطور.

ثانياً: المذهب العقلاني

2. 3. الانسجام الأزلي المسبق:

إذا كانت المونادات لا تتفاعل، فكيف نفسر التوافق الظاهري بين الأحداث في العالم؟ كيف يتوافق ما يحدث في عقلي (وهو موناد) مع ما يحدث في جسدي (وهو تجمع من المونادات)؟ هنا يقدم لايبنتز فكرته الشهيرة: «الانسجام الأزلي المسبق».

يشبه لايبنتز العلاقة بين العقل والجسد بساعتين مثاليتين الصنع، لقد قام صانع الساعات (الله) بضبطهما بدقة متناهية منذ البداية، بحيث تتوافقان تماماً في كل لحظة دون أن تؤثر إحداهما على الأخرى، عندما أريد رفع يدي (حدث في موناد العقل)، فإن يدي ترتفع (حدث في مونادات الجسد) ليس لأن العقل أثر في الجسد، بل لأن الله قد نسق تطورهما الداخلي منذ الأزل ليتوافقا بشكل تام، هذا الحل يحافظ على استقلالية كل من العقل والجسد مع تفسير التوافق بينهما.

ثانياً: المذهب العقلاني

3. 3. مبدأ السبب الكافي:

بنى لايبنتز فلسفته على مبدأين أساسيين:

1. مبدأ عدم التناقض: وهو أساس الحقائق الضرورية (حقائق العقل)، مثل حقائق الرياضيات والمنطق، القضية تكون صحيحة إذا كان نقيضها متناقضاً.

2. مبدأ السبب الكافي: وهو أساس الحقائق الممكنة (حقائق الواقع)، ينص هذا المبدأ على أنه لا يوجد شيء يحدث أو يوجد دون أن يكون هناك سبب كافٍ لوجوده على هذا النحو بدلاً من نحو آخر، هذا المبدأ يطرد أي صدفة أو عشوائية من الكون كل شيء، من حركة كوكب إلى سقوط ورقة شجر، له تفسير كامل وسبب كافٍ لوجوده، حتى لو لم نكن نعرفه.

ثانياً: المذهب العقلاني

4. 3. أفضل العوالم الممكنة:

إذا كان الله كلي القدرة وكلي الخير، فلماذا يوجد الشر والألم والمعاناة في العالم؟ هذه هي "مشكلة الشر" التي حاول لايبنتز حلها في كتابه «الثيوديسيا»، باستخدام مبدأ السبب الكافي، يجادل لايبنتز بأن الله، في عقله اللامتناهي، تصور عدداً لا نهائياً من العوالم الممكنة، وبما أنه كلي الخير، فقد اختار أن يخلق «أفضل العوالم الممكنة»، عالمنا هذا، على الرغم من احتوائه على الشرور، هو أفضل عالم ممكن منطقياً، الشرور الموجودة فيه (مثل الألم والمرض) هي شرور ضرورية لتحقيق خير أعظم، أو لمنع شر أكبر، مثلما قد يحتوي اللحن الموسيقي الجميل على نغمات ناشزة تزيد من جمال التناغم الكلي، فإن الشرور في عالمنا هي جزء ضروري من الانسجام الكلي لأفضل عالم ممكن. هذا الموقف يُعرف بـ "التفاؤل الميتافيزيقي".

ثانياً: المذهب العقلاني

5. 3. مقارنة بين العقلانيين: ديكارت، سبينوزا، ولايبنتز

يمثل هؤلاء الفلاسفة الثلاثة تطوراً منطقياً داخل المذهب العقلي.

- ديكارت: بدأ بالشك للوصول إلى اليقين، وانتهى إلى ثنائية حادة بين العقل والمادة، وثلاثة أنواع من الجواهر (الله، العقل، المادة)، تاركاً مشكلة التفاعل بلا حل مقنع.

- سبينوزا: لحل مشكلة التفاعل، قام بتوحيد كل شيء في جوهر واحد (الله أو الطبيعة)، معتبرًا العقل والمادة مجرد صفتين لهذا الجوهر، نتج عن ذلك نظام حتمي صارم (وحدة الوجود).

- لايبنتز: رفضاً لثنائية ديكارت ووحدة سبينوزا، قام بتكثير الجواهر إلى عدد لا نهائي (المونادات)، وحل مشكلة التفاعل بفكرة الانسجام الأزلي المسبق، محاولًا الحفاظ على الفردية والحرية والإيمان.

يمثل هؤلاء الثلاثة ذروة الثقة في قدرة العقل وحده على كشف أعمق أسرار الواقع.

ثالثاً: المذهب التجريبي

1. نشأة التجريبية البريطانية: جون لوك (1632-1704)
2. ذروة التجريبية والشك: ديفيد هيوم (1711-1776)

ثالثاً: المذهب التجريبي

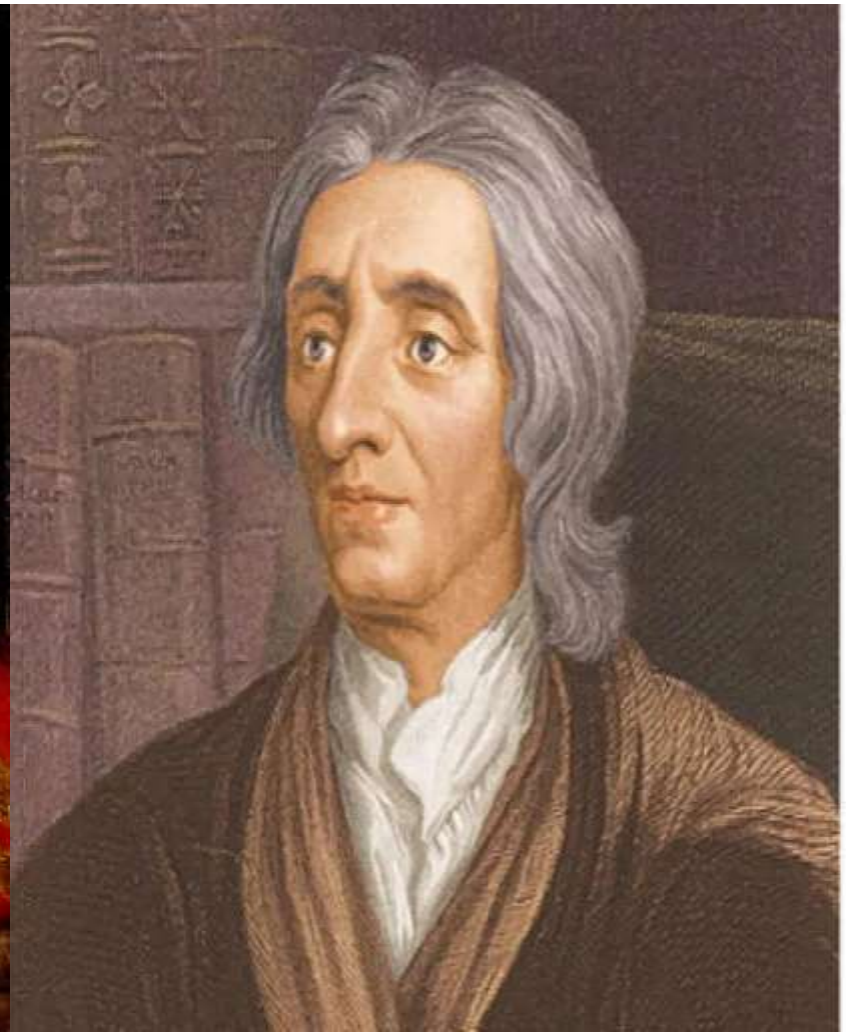

ثالثاً: المذهب التجريبي

1. نشأة التجريبية البريطانية: جون لوك (1632-1704):

بينما كانت العقلانية تزدهر في أوروبا القارية، كانت هناك ثورة فلسفية مضادة تتشكل في بريطانيا، يُعتبر جون لوك، الطبيب والفيلسوف الإنجليزي، هو المؤسس الحقيقي لهذا التيار الجديد، المذهب التجريبي عاش لوك في فترة اضطرابات سياسية كبرى في إنجلترا (الثورة المجيدة)، وكان لهذه الأحداث تأثير عميق على فكره السياسي، على عكس العقلانيين الذين بدأوا من المبادئ العقلية المجردة، كان مشروع لوك أكثر تواضعاً وعملية، في كتابه الشهير "مقالة في الفهم البشري"، لم يحاول بناء نظام ميتافيزيقي كامل، بل أراد فقط أن "يفحص أصل اليقين ومدى المعرفة البشرية".

لقد أراد أن يحدد ما يمكننا أن نعرفه وما لا يمكننا، وذلك برسم خريطة لقدرات العقل البشري وحدوده.

ثالثاً: المذهب التجريبي

1.1. نقد الأفكار الفطرية:

كرس لوك الجزء الأول من كتاباته لدحض المفهوم الأساسي لدى العقلانيين، فكرة وجود أفكار فطرية جادل العقلانيون بأن مبادئ مثل "ما هو كائن، فهو كائن" أو فكرة الله هي أفكار مغروسة في العقل منذ الولادة.

قدم لوك حجة بسيطة وقوية ضد هذا الادعاء، مفادها لو كانت هذه الأفكار فطرية، لوجب أن تكون موجودة لدى جميع البشر، بما في ذلك الأطفال، والمجانين، والشعوب البدائية، لكن بالنظر إلى الواقع، نجد أن هؤلاء لا يمتلكون مثل هذه الأفكار المعقدة، إذن، لا توجد أفكار فطرية، بدلاً من ذلك، يولد العقل البشري وهو أشبه بـ"صفحة بيضاء" أو خزانة فارغة، لا تحتوي على أي معرفة مسبقة، كل ما نعرفه، وكل الأفكار الموجودة في عقولنا، تأتي من مصدر واحد فقط: التجربة.

ثالثاً: المذهب التجريبي

1.2. مصدر المعرفة:

إذا كان العقل صفحة بيضاء، فكيف تمتلئ؟ يجيب لوك، من التجربة والتجربة بالنسبة للوك لها مصدران رئيسيان:

1. الإحساس: وهو المصدر الخارجي، من خلال حواسنا (البصر، السمع، اللمس، إلخ)، نتلقى انطباعات عن العالم الخارجي. هذه الانطباعات تولد في عقولنا أفكاراً بسيطة عن الأشياء، مثل فكرة "الأصفر"، "الحار"، "الصلب"، "الحلو".

2. التأمل: وهو المصدر الداخلي، أو «الحس الباطن»، من خلال توجيه العقل إلى عملياته الداخلية، نكتسب أفكاراً عن هذه العمليات، مثل فكرة "التفكير"، "الشك"، "الإرادة"، "الإيمان".

كل معرفتنا، مهما بلغت من تعقيد وتجريد، تنبع في النهاية من هذين المصدرين، لا يوجد شيء في العقل لم يكن من قبل في الحواس أو في التأمل.

ثالثاً: المذهب التجريبي

1.3. أنواع الأفكار:

يميز لوك بين نوعين من الأفكار:

- الأفكار البسيطة: هي الوحدات الأساسية للمعرفة التي يتلقاها العقل بشكل سلبي من الإحساس أو التأمل، لا يمكن للعقل أن يخترعها أو يدمرها، تماماً كما لا يمكن للمرآة أن ترفض أو تغير الصور التي تعكسها، أمثلتها: لون معين، رائحة معينة، الشعور بالألم.

- الأفكار المركبة:يقوم العقل بدور فعال في تكوينها عن طريق تجميع وربط ومقارنة الأفكار البسيطة، على سبيل المثال، فكرة "التفاحة" هي فكرة مركبة تتكون من أفكار بسيطة مثل "أحمر"، "مستدير"، "حلو الرائحة"، "صلب«، الأفكار المركبة تشمل أيضاً أفكاراً أكثر تجريداً مثل "الجمال"، "الجيش"، «الكون»، حتى أكثر الأفكار الميتافيزيقية تعقيداً، مثل فكرة "الجوهر" أو "اللانهائية"، هي في النهاية تركيبات يقوم بها العقل من مواد أولية بسيطة مستمدة من التجربة.

ثالثاً: المذهب التجريبي

1.4. الكيفيات الأولية والثانوية:

يميز جون لوك بين نوعين من الكيفيات في الأجسام:

- الكيفيات الأولية: صفات ملازمة للأجسام لا تنفصل عنها، مثل الصلابة، الامتداد، الشكل، الحركة أو السكون، والعدد. هذه الصفات موجودة في الأشياء نفسها، وأفكارنا عنها تشبه حقيقتها الموضوعية.

- الكيفيات الثانوية: صفات لا توجد في الأجسام ذاتها، بل هي قدرتها على إحداث أحاسيس معينة فينا نتيجة تأثير كيفياتها الأولية على حواسنا، مثل اللون والصوت والرائحة والطعم، فمثلاً، اللون الأحمر ليس في التفاحة نفسها، بل هو **إحساس ينشأ في أعيننا بسبب طريقة انعكاس سطحها للضوء.

إذن، يرى لوك أن الواقع الخارجي يحتوي فقط على الكيفيات الأولية، أما الكيفيات الثانوية فهي مظاهر إدراكية تنشأ في أذهاننا بفعل تفاعلنا مع الأشياء.

ثالثاً: المذهب التجريبي

1.5. مفهوم الذات والهوية الشخصية:

كيف أعرف أنني الشخص نفسه الذي كنته بالأمس أو قبل عشر سنوات؟ ما الذي يشكل هويتي الشخصية عبر الزمن؟ يرفض لوك الإجابات التقليدية التي تربط الهوية بالجوهر (نفس الجسد أو نفس الروح)، فلو تغيرت روحي كل ليلة وبقيت ذكرياتي، سأظل أعتبر نفسي الشخص نفسه، ولو بقيت روحي ولكن فقدت كل ذكرياتي، فلن أكون الشخص نفسه، لذلك يرى لوك أن الهوية الشخصية تكمن في استمرارية الوعي والذاكرة "أنا" هو ذلك الكائن الواعي الذي يمكنه أن يتذكر أفعاله وأفكاره الماضية ويعتبرها خاصة به، هذا التعريف كان له تأثير كبير على الفكر القانوني والأخلاقي، حيث ربط المسؤولية بالوعي والذاكرة.

ثالثاً: المذهب التجريبي

1.6. نظرية العقد الاجتماعي:

في فلسفته السياسية، التي عرضها في "رسالتان في الحكم"، يقدم لوك رؤية مؤثرة لأصل الدولة، يتخيل لوك حالة طبيعية تسبق وجود الحكومات، لكن حالة الطبيعة عند لوك، على عكس هوبز، ليست حالة حرب الكل ضد الكل، بل هي حالة من الحرية والمساواة يحكمها "قانون الطبيعة" الذي يدركه العقل، والذي ينص على أنه لا يجوز لأحد أن يضر بآخر في حياته، أو صحته، أو حريته، أو ممتلكاته.

المشكلة في حالة الطبيعة هي أنه لا توجد سلطة محايدة لتطبيق هذا القانون، فكل شخص هو القاضي في قضيته الخاصة، مما قد يؤدي إلى الفوضى والظلم، للخروج من هذا المأزق، يتفق الأفراد من خلال "عقد اجتماعي" على التنازل عن حقهم في تنفيذ القانون الطبيعي بأنفسهم، ويسلمونه إلى هيئة مشتركة (الحكومة).

ثالثاً: المذهب التجريبي

1.7. الحقوق الطبيعية والحكومة المقيدة:

الهدف الأساسي من إنشاء الحكومة هو حماية الحقوق الطبيعية للأفراد، والتي يلخصها لوك في «الحياة، والحرية، والملكية»، الحكومة لا تخلق هذه الحقوق، بل توجد لضمانها، سلطة الحكومة ليست مطلقة، بل هي مقيدة ومستمدة من موافقة المحكومين، إذا تجاوزت الحكومة سلطتها وأصبحت طاغية، فإنها تخرق العقد الاجتماعي، وفي هذه الحالة، يحق للشعب أن يثور عليها ويستبدلها بحكومة جديدة، هذه الأفكار عن الحكومة المقيدة، والموافقة الشعبية، وحق الثورة، شكلت الأساس الفكري لليبرالية الكلاسيكية وألهمت بشكل مباشر الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية.

ثالثاً: المذهب التجريبي

1.8. تأثير لوك: في الفلسفة، السياسة، وعلم النفس:

كان تأثير جون لوك هائلاً ومتعدد الجوانب، **فلسفياً**، أسس للمذهب التجريبي الذي أصبح التيار المهيمن في الفلسفة البريطانية.

سياسياً، يعتبر "أبو الليبرالية"، وأفكاره عن الحقوق الطبيعية والحكومة المقيدة هي حجر الزاوية في العديد من الدساتير الديمقراطية الحديثة.

في علم النفس، نظريته عن العقل كـ "صفحة بيضاء" فتحت الباب أمام فكرة أن شخصية الإنسان وسلوكه يتشكلان بالكامل من خلال التربية والتجربة، وهو أساس المدرسة السلوكية لاحقاً. لقد وضع لوك الفلسفة على مسار جديد، مسار يبتعد عن الميتافيزيقا التأملية للعقلانيين ويقترب من التحليل النفسي والسياسي القائم على التجربة والملاحظة.

ثالثاً: المذهب التجريبي

2. ذروة التجريبية والشك: ديفيد هيوم (1711-1776):

يُعتبر ديفيد هيوم، الفيلسوف والمؤرخ والاقتصادي الإسكتلندي، أكثر الفلاسفة التجريبيين جذرية واتساقاً مع منهجه، لقد أخذ مبدأ لوك القائل بأن كل المعرفة تأتي من التجربة، وطبقه بصرامة لا هوادة فيها، ليصل إلى نتائج صادمة ومدمرة قوضت أسس الفلسفة التقليدية، سواء العقلانية أو التجريبية المعتدلة، كان هيوم شخصية محبوبة في صالونات باريس ولندن، لكن أفكاره الشكية جعلته شخصية مثيرة للجدل في الأوساط الأكاديمية والدينية.

لم يحاول هيوم بناء نظام فلسفي، بل كان هدفه "تحليلياً" في المقام الأول: تفكيك الادعاءات المعرفية والميتافيزيقية ليرى ما إذا كانت تستند حقاً إلى أساس تجريبي، وكما قال كانط لاحقاً، فإن هيوم هو من "أيقظه من سباته الدوغمائي"، أي جعله يعيد التفكير في كل مسلمات الفلسفة.

ثالثاً: المذهب التجريبي

2.1. مكونات العقل:

يبدأ هيوم تحليله بتبسيط خريطة لوك للعقل، يرى هيوم أن كل محتويات العقل، أو ما يسميه "الإدراكات" تنقسم إلى نوعين فقط، يتميزان بدرجة الحيوية والقوة:

1. الانطباعات: هي إدراكاتنا الأكثر حيوية وقوة، وهي تشمل كل أحاسيسنا المباشرة (عندما نرى، نسمع، نلمس) وعواطفنا ورغباتنا (عندما نشعر بالحب، الكراهية، الألم)، الانطباعات هي التجربة الحية والفورية.
2. الأفكار: هي نسخ باهتة أو صور خافتة للانطباعات، تظهر عندما نفكر في تلك الأحاسيس أو العواطف، على سبيل المثال، الإحساس بالألم عند لمس النار هو "انطباع"، أما تذكري لهذا الألم لاحقاً فهو "فكرة".

المبدأ الأساسي لهيوم، والذي يُعرف بـ"مبدأ النسخ"، هو أن كل فكرة بسيطة هي نسخة من انطباع بسيط سبقها. هذا المبدأ هو سلاح هيوم النقدي. للتحقق من صحة أي مصطلح فلسفي أو فكرة معقدة (مثل الجوهر، السببية، الذات).

ثالثاً: المذهب التجريبي

2.2. تحليل مبدأ السببية عند هيوم:

تناول هيوم مبدأ السببية الذي عُدّ منذ أرسطو أساس فهم الواقع والتنبؤ به، إذ افترض الفلاسفة وجود رابط ضروري بين السبب والنتيجة، لكن هيوم تساءل: عندما نرى حدثين متعاقبين، كاصطدام كرتين، هل ندرك هذا الرابط فعلاً؟

يجيب بأننا لا نرى سوى التجاور المكاني والتتابع الزمني والاقتران المستمر بين الحدثين، أما "الضرورة" فلا تُدرك بالحس مطلقاً.

ومن ثمّ يرى هيوم أن فكرة السببية تنشأ من العادة الذهنية؛ فبعد تكرار تتابع حدثين، تتكون لدينا توقعات نفسية بأن أحدهما يتبع الآخر، هذا الميل الداخلي يُسقطه الذهن على العالم، فنظن بوجود رابطة ضرورية بين الأشياء. وهكذا، فالسببية ليست قانوناً في الطبيعة، بل عادة ذهنية ناتجة عن التكرار، مما يجعل أساس العلم نفسه قائماً على العادة لا العقل أو التجربة الصافية.

ثالثاً: المذهب التجريبي

2.3. نقد هيوم لمفهوم الذات:

بعد نقده للسببية، تناول هيوم مفهوم الذات الذي اعتبره الفلاسفة جوهراً ثابتاً يملك الأفكار والمشاعر، طرح هيوم سؤاله المعتاد: من أي انطباع حسي تنشأ فكرة الذات؟

عند تأمله لذاته، لم يجد إلا إدراكات متغيرة ومتتابعة من مشاعر وأفكار، دون أي جوهر ثابت خلفها.

ومن ثم استنتج أن الذات ليست كياناً مستقلاً، بل مجرد حزمة من الإدراكات المتدفقة والمتغيرة باستمرار، والعقل أشبه بـ"مسرح" تمر عليه هذه الإدراكات دون أن يكون هناك مسرح حقيقي خلفها.

أما الهوية الشخصية فمجرد وهم ذهني ينشأ من عادة الذاكرة في ربط الإدراكات المتشابهة والمتتابعة.

ثالثاً: المذهب التجريبي

2.4. إشكالية الاستقراء عند هيوم:

يكشف تحليل هيوم للسببية عن مشكلة أعمق هي إشكالية الاستقراء، أي الانتقال من ملاحظات جزئية في الماضي إلى تعميمات تشمل المستقبل، وهو الأساس الذي يقوم عليه العلم والتوقع اليومي.

تساءل هيوم: ما الذي يبرر اعتقادنا بأن المستقبل سيشبه الماضي؟ لا المنطق يبرره، لأن تصور تغير المستقبل ليس متناقضاً، ولا التجربة تبرره، لأن الاعتماد على تجارب الماضي لإثبات صلاحية الاستقراء يؤدي إلى دائرة مفرغة.

لذا خلص هيوم إلى أن إيماننا بانتظام الطبيعة واستمرار القوانين ليس قائماً على العقل، بل هو عادة أو ميل غريزي نحتاجه عملياً للحياة، لكنه يفتقر إلى تبرير فلسفي عقلاني.

ثالثاً: المذهب التجريبي

2.5.هيوم والأخلاق:

يرى هيوم أن الأحكام الأخلاقية لا تستند إلى العقل أو صفات موضوعية في الأفعال، بل إلى المشاعر الإنسانية، فقولنا "القتل خطأ" يعبر عن استهجان شعوري لا عن حقيقة يمكن ملاحظتها.

لا يمكننا الانتقال من "ما هو كائن" إلى "ما يجب أن يكون" (مقصلة هيوم).

أصل الأخلاق إذن هو التعاطف، أي قدرتنا على الإحساس بمشاعر الآخرين؛ فنستحسن الأفعال النافعة ونستهجن المؤذية، فالأخلاق نابعة من طبيعتنا العاطفية والاجتماعية لا من أوامر إلهية أو عقلية مجردة.

ثالثاً: المذهب التجريبي

2.6. هيوم والدين:

انتقد هيوم الدين التقليدي والبراهين الميتافيزيقية، ورأى أن الإيمان بالمعجزات غير عقلاني، لأن خرق قوانين الطبيعة أقل احتمالاً من خطأ الشاهد أو كذبه.

كما فند البرهان الغائي القائل بأن الكون من صنع مصمم ذكي، معتبراً أن التشابه بين الكون والآلة ضعيف، وحتى إن صح، لا يثبت وجود إله واحد كامل الصفات، بل قد يشير إلى آلهة متعددة أو عملية طبيعية عمياء.

ثالثاً: المذهب التجريبي

2.7. مأزق الفلسفة: الشك الراديكالي

ترك هيوم الفلسفة في مأزق حقيقي، لقد أظهر أن مفاهيم أساسية نعتمد عليها في حياتنا اليومية وفي العلم - مثل السببية، الذات، العالم الخارجي، والاستقراء - ليس لها أي تبرير عقلاني أو تجريبي صارم، إنها مجرد نتاج للعادات والمشاعر والإيمان الغريزي.

هذا الشك الراديكالي هدد بتقويض مشروع المعرفة بأكمله، لم يعد بإمكاننا الادعاء بأننا نعرف أي شيء بيقين عن العالم وعلى الرغم من أن هيوم نفسه اعترف بأنه في حياته اليومية ينسى شكوكه الفلسفية ويلعب البلياردو ويتحدث مع أصدقائه مثل أي شخص آخر، إلا أن التحدي الذي طرحه ظل قائماً، وهو كيف يمكن إنقاذ المعرفة والعلم من هذا الشك المدمر؟ هذه هي المهمة التي سيأخذها إيمانويل كانط على عاتقه.

ثالثاً: المذهب التجريبي

2.8. هل من مخرج من كهف الشك؟

لقد قادنا المنهج التجريبي، في تطوره من لوك إلى هيوم، إلى نتيجة مفارقة: المنهج الذي بدأ بالاعتماد على التجربة الحسية كطريق وحيد للمعرفة، انتهى إلى إثبات أننا لا نستطيع حتى أن نعرف بيقين أن هناك عالماً خارجياً أو قوانين سببية تحكمه. أصبح العقل سجيناً في كهف من انطباعاته وأفكاره الخاصة، دون أي جسر مضمون يربطه بالواقع، هل هذا هو مصير الفلسفة؟ هل يجب أن نستسلم للشك ونكتفي بالعادات والإيمان؟ أم أن هناك طريقاً ثالثاً، طريقاً لم يفكر فيه العقلانيون ولا التجريبيون؟ هذا هو السؤال الذي سيجيب عليه إيمانويل كانط، الذي سيقوم بما أسماه "ثورة كوبرنيكية" في الفلسفة ليجد مخرجاً من هذا المأزق.

رابعاً: الفلسفة النقدية

1. الثورة النقدية: إيمانويل كانط (1724-1804)
2. المشروع النقدي عند كانط: أسئلة العقل الثلاثة
3. الثورة الكوبرنيكية في الفلسفة عند كانط
4. أنواع الأحكام عند كانط
5. عالم الظواهر وعالم الأشياء في ذاتها عند كانط
6. مقولات الفهم القبلية عند كانط
7. إنقاذ السببية والعلم
8. استحالة الميتافيزيقيا كعلم
9. ملخص نقد العقل الخالص: حدود المعرفة
10. الفلسفة الأخلاقية عند كانط
11. نقد العقل العملي.
12- الإرادة الخيرة.. الشيء الوحيد الخير في ذاته
13- الأخلاق الواجبة .. قيمة الفعل في الواجب لا في النتائج

رابعاً: الفلسفة النقدية

رابعاً: الفلسفة النقدية

1. الثورة النقدية: إيمانويل كانط (1724-1804):

عاش إيمانويل كانط حياته كلها في مدينة كونيغسبرغ البروسية (الآن كالينينغراد في روسيا)، في حياة منظمة وروتينية صارمة لدرجة قيل إن جيرانه كانوا يضبطون ساعاتهم على وقت خروجه للمشي اليومي، لكن خلف هذه الحياة الهادئة، كان يدور في عقله أحد أعظم الثورات الفكرية في التاريخ.

بدأ كانط كفيلسوف عقلاني على خطى لايبنتز، لكنه، كما اعترف بنفسه، "أيقظه هيوم من سباته الدوغمائي"، فأدرك كانط أن شكوك هيوم كانت خطيرة ولا يمكن تجاهلها، لذلك كرس حياته لمشروع فلسفي ضخم يهدف إلى التوفيق بين المذهب العقلي والمذهب التجريبي، وتحديد حدود المعرفة البشرية بشكل نهائي، وبالتالي إنقاذ العلم والميتافيزيقا والأخلاق من الشك.

رابعاً: الفلسفة النقدية

2. المشروع النقدي عند كانط: أسئلة العقل الثلاثة

لخّص كانط فلسفته في ثلاثة أسئلة كبرى:

1. ماذا يمكنني أن أعرف؟ تناولها في نقد العقل الخالص، وهو بحث في حدود المعرفة البشرية.
2. ماذا يجب أن أفعل؟ عالجها في نقد العقل العملي، متناولاً أساس الأخلاق.
3. ماذا يجوز لي أن آمل؟ بحثها في نقد ملكة الحكم، متصلاً بالدين والغائية.

وسُمّي منهجه بالفلسفة النقدية لأنه لا يبحث في طبيعة الواقع مباشرة، بل في قدرات العقل وحدوده وما يمكنه معرفته بشكل مشروع.

رابعاً: الفلسفة النقدية

3. الثورة الكوبرنيكية في الفلسفة عند كانط

قبل كانط، ظن الفلاسفة أن المعرفة تتحقق عندما يتوافق العقل مع الواقع الخارجي، لكن كانط قلب هذا التصور، مشبهاً نفسه بكوبرنيكوس: فالعقل هو الذي يفرض قوانينه على التجربة، لا العكس.

فالمعرفة ليست انعكاساً سلبياً للعالم، إنما بناء نشط يقوم به العقل حين ينظم المعطيات الحسية وفق مبادئه، مثل مبدأ السببية.

رابعاً: الفلسفة النقدية

4. أنواع الأحكام عند كانط:

قسّم كانط الأحكام إلى نوعين:

- تحليلية قبلية: يكون المحمول متضمَّنًا في الموضوع، مثل "كل العزاب غير متزوجين"، وهي ضرورية لكنها لا تضيف معرفة جديدة.

- تركيبية بعدية: يضيف المحمول معلومة جديدة، مثل "القطة على السجادة"، لكنها تعتمد على التجربة.

طرح كانط سؤالاً جديداً: هل يمكن أن توجد أحكام تركيبية قبلية، أي تجمع بين الإضافة المعرفية والضرورة العقلية؟

أجاب بنعم، معتبراً أن الرياضيات والفيزياء تقومان على مثل هذه الأحكام، فهي توسّع معرفتنا لكنها مستقلة عن التجربة.

وبيان كيف تكون هذه الأحكام ممكنة هو جوهر كتابه "نقد العقل الخالص".

رابعاً: الفلسفة النقدية

5.عالم الظواهر وعالم الأشياء في ذاتها عند كانط:

يرى كانط أن معرفتنا لا تتعلق بالأشياء كما هي في ذاتها، بل كما تظهر لنا بعد أن ينظمها العقل وفق بنيته الخاصة.

لذلك يميز بين:

- عالم الظواهر: عالم التجربة الذي يشكّله العقل، وهو وحده القابل للمعرفة العلمية.
- عالم الأشياء في ذاتها: الواقع المستقل عن العقل، لا يمكن معرفته بل فقط التفكير فيه.

وبهذا جمع كانط بين التجريبيين الذين يرون أن المعرفة تبدأ من التجربة، والعقلانيين الذين يؤكدون وجود مبادئ قبلية تنظّمها.

رابعاً: الفلسفة النقدية

6. مقولات الفهم القبلية عند كانط:

يرى كانط أن العقل لا يستقبل التجربة سلباً، بل ينظمها عبر بنى قبلية تشبه "نظارات" لا يمكن نزعها.

فعلى مستوى الحساسية، تُرتب المعطيات الحسية ضمن إطارَي الزمان والمكان، وهما صورتان قبليتان ينظم بهما العقل كل إدراك.

وعلى مستوى الفهم، تُطبّق مجموعة من المقولات القبلية (كالسببية) لربط الإدراكات وتحويلها إلى معرفة.

إذن، السببية ليست عادة ذهنية ولا قانوناً في الأشياء ذاتها، بل قانون عقلي قبلي ينظّم عالم الظواهر ويجعله ممكن الفهم.

رابعاً: الفلسفة النقدية

7. إنقاذ السببية والعلم:

بهذه الطريقة، نجح كانط في إنقاذ العلم من شك هيوم.

أصبحت قوانين العلم، مثل السببية، ليست مجرد تعميمات تجريبية غير مؤكدة، بل أصبحت قوانين ضرورية وكلية، ولكن فقط ضمن حدود عالم الظواهر، عالم التجربة الممكنة.

لقد أعطى كانط للعلم أساساً فلسفياً متيناً، لكنه في نفس الوقت حدد مجاله.

العلم يمكنه أن يخبرنا فقط عن العالم كما يظهر لنا، وليس عن الواقع النهائي (الأشياء في ذاتها).

رابعاً: الفلسفة النقدية

8. استحالة الميتافيزيقا كعلم:

وماذا عن الميتافيزيقا التقليدية التي تحاول معرفة الله، النفس، والكون ككل؟ يرى كانط أن هذه محاولة محكوم عليها بالفشل. الله، النفس الخالدة، والكون ككل هي "أفكار للعقل الخالص"، إنها ليست أشياء يمكن أن نختبرها في التجربة، عندما يحاول العقل أن يطبق مقولاته (مثل السببية) خارج عالم التجربة الممكنة (أي على عالم الأشياء في ذاتها)، فإنه يقع حتماً في تناقضات لا حل لها، يسميها كانط «المتناقضات»، على سبيل المثال، يمكن للعقل أن "يثبت" أن للعالم بداية في الزمان، وأن "يثبت" أيضاً أن العالم ليس له بداية في الزمان.

هذا التناقض يظهر أننا تجاوزنا حدود معرفتنا، إذن الميتافيزيقا كعلم نظري عن الواقع النهائي هي مستحيلة.

رابعاً: الفلسفة النقدية

9. ملخص "نقد العقل الخالص": حدود المعرفة

الخلاصة النهائية لـ"نقد العقل الخالص" هي أن المعرفة البشرية هي نتاج مشترك بين مساهمة من العالم الخارجي (المعطيات الحسية الخام) ومساهمة من العقل (البنى القبلية للزمان والمكان والمقولات).

لقد رسم كانط حداً فاصلاً للمعرفة البشرية، داخل هذا الحد (عالم الظواهر)، يمكننا الحصول على معرفة علمية يقينية.

أما خارج هذا الحد (عالم الأشياء في ذاتها)، فلا يمكننا إلا التفكير، ولكن لا يمكننا المعرفة، "لقد كان عليّ أن أنحي المعرفة جانباً، لكي أفسح مجالاً للإيمان"، كما يقول كانط.

رابعاً: الفلسفة النقدية

10. الفلسفة الأخلاقية عند كانط:

لكن إذا كانت الميتافيزيقا مستحيلة كعلم، فهل هذا يعني أن أفكار الله والحرية والخلود لا معنى لها؟ يجيب كانط: لا. صحيح أننا لا نستطيع إثباتها نظريًا، لكنها قد تكون ضرورية من منظور آخر. بعد أن أغلق باب المعرفة النظرية أمام هذه الأفكار، فتح لها باباً جديداً وأكثر أهمية في نظره: باب العقل العملي، أي باب الأخلاق.

إذا كان عالم الظواهر خاضعاً لحتمية سببية صارمة، فكيف يمكن أن نكون أحراراً ومسؤولين أخلاقياً؟ الإجابة تكمن في التمييز بين عالمي الظواهر والنومينا، كجزء من عالم الظواهر، نحن خاضعون لقوانين الطبيعة؛ ولكن ككائنات عاقلة، قد ننتمي أيضاً إلى عالم النومينا (الأشياء في ذاتها)، حيث يمكن للحرية أن توجد.

هذا هو المسار الذي سيكمله كانط في فلسفته الأخلاقية.

رابعاً: الفلسفة النقدية

11. نقد العقل العملي:

بعد أن أثبت في "نقد العقل الخالص" أن معرفتنا النظرية محدودة بعالم الظواهر الخاضع للحتمية، انتقل كانط في "نقد العقل العملي" و"تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" إلى استكشاف عالم الحرية والأخلاق، وكان سؤاله الأساسي: ما هو أساس الواجب الأخلاقي؟ رفض كانط كل الإجابات السابقة، فالأخلاق لا يمكن أن تتأسس على الدين (لأن هذا يجعلها معتمدة على سلطة خارجية)، ولا على المشاعر (كما قال هيوم، لأن المشاعر متقلبة وذاتية)، ولا على النتائج المترتبة على الفعل (لأننا لا نتحكم دائماً في النتائج).

رأى كانط أن القانون الأخلاقي، لكي يكون ملزماً حقاً، يجب أن يكون كونياً وضرورياً، أي صالحاً لكل الكائنات العاقلة في كل زمان ومكان، وهذا يعني أنه يجب أن يكون قبلياً، أي مستمداً من العقل الخالص نفسه، وليس من التجربة.

رابعاً: الفلسفة النقدية

12. الإرادة الخيرة.. الشيء الوحيد الخير في ذاته:

يبدأ كانط تحليله بالبحث عن شيء يمكن اعتباره "خيراً دون قيد أو شرط«، يمر على كل الأشياء التي نعتبرها عادةً خيرة، كالذكاء، الشجاعة، الثروة، الصحة، ويلاحظ أن كل هذه الأشياء يمكن استخدامها في الشر، فالذكاء قد يستخدم في التخطيط لجريمة، والشجاعة قد تكون تهوراً، الشيء الوحيد في العالم الذي يمكن اعتباره خيراً في ذاته، بشكل مطلق، هو الإرادة الخيرة، وهي ليست خيرة بسبب ما تحققه من نتائج، بل هي خيرة فقط بسبب نيتها، أي لأنها تتصرف انطلاقاً من الواجب.

- يميز كانط بين التصرف "وفقاً للواجب" والتصرف "من منطلق الواجب«، فالتاجر الذي لا يغش زبائنه خوفاً على سمعته يتصرف وفقاً للواجب، لكن فعله ليس له قيمة أخلاقية حقيقية، أما التاجر الذي لا يغش لأنه يعتقد أن الغش خطأ في ذاته، فإنه يتصرف من منطلق الواجب، وإرادته هنا هي إرادة خيرة.

رابعاً: الفلسفة النقدية

13. الأخلاق الواجبة .. قيمة الفعل في الواجب لا في النتائج:

تُعرف فلسفة كانط الأخلاقية بـ"الأخلاق الواجبة"، من الكلمة اليونانية " "deonالتي تعني "واجب"، وهي تقف على النقيض التام من "الأخلاق النفعية« Utilitarianism التي ظهرت لاحقاً، والتي ترى أن قيمة الفعل الأخلاقي تكمن في نتائجه (تحقيق أكبر قدر من السعادة لأكبر عدد من الناس).

بالنسبة لكانط، النتائج لا تهم، الفعل الصحيح أخلاقياً هو الفعل الذي يتم القيام به من منطلق الواجب واحتراماً للقانون الأخلاقي، بغض النظر عن عواقبه، لو أن قول الصدق سيؤدي إلى كارثة، يظل قول الصدق هو واجبك الأخلاقي، هذه الصرامة الأخلاقية هي سمة مميزة لفكر كانط.

خاتمة وتأثير الفلسفة الحديثة:

1. من شك ديكارت إلى يقين كانط الأخلاقي
2. مقارنة بين التيارات الثلاثة: العقلانية، التجريبية، النقدية
3. مفاهيم أساسية تمت تغطيتها
4. تأثير الفلسفة الحديثة على العلم
5. تأثير الفلسفة الحديثة على السياسة والمجتمع
6. تأثير الفلسفة الحديثة على الفكر المعاصر

خاتمة وتأثير الفلسفة الحديثة:

1. من شك ديكارت إلى يقين كانط الأخلاقي:

لقد قطعنا رحلة طويلة ومثيرة عبر قرنين من الفكر، بدأنا مع ديكارت وهو يهدم كل شيء بحثاً عن يقين واحد، ووجده في "الكوجيتو" من هذه النقطة، بنى العقلانيون (سبينوزا ولايبنتز) أنساقاً ميتافيزيقية شامخة وثقت في قدرة العقل على سبر أغوار الواقع.

ثم انتقلنا إلى التجريبيين (لوك وهيوم) الذين أصروا على أن كل المعرفة يجب أن ترتكز على أرض التجربة الصلبة، وهي رحلة انتهت بهيوم إلى تقويض أسس المعرفة نفسها، تاركاً إيانا في صحراء الشك.

وأخيراً رأينا كيف جاء كانط ليقوم بثورته الكوبرنيكية، منقذاً المعرفة بوضع حدود لها، ومؤسساً للأخلاق في عالم الحرية والواجب، إنها قصة درامية عن صعود الذات، الثقة بالعقل، ثم نقد هذا العقل لتحديد حدوده.

خاتمة وتأثير الفلسفة الحديثة:

2. مقارنة بين التيارات الثلاثة: العقلانية، التجريبية، النقدية:

الميزة	المذهب العقلي (ديكارت، سبينوزا، لايبنتز)	المذهب التجريبي (لوك، هيوم)	الفلسفة النقدية (كانط)
مصدر المعرفة	العقل والمبادئ الفطرية.	التجربة الحسية.	التفاعل بين التجربة وبنى العقل القبلية.
نموذج المعرفة	الرياضيات والهندسة.	العلوم الطبيعية القائمة على الملاحظة.	فيزياء نيوتن (لأحكام التركيبية القبلية)
دور العقل	فعّال، يكتشف الحقائق من ذاته.	سلبي، صفحة بيضاء تستقبل الانطباعات.	فعّال، ينظّم ويشكّل التجربة.
مفاهيم أساسية	الجوهر، الأفكار الفطرية، الله.	الانطباعات والأفكار، الكيفيات، العادة.	الظواهر والنومينا، المقولات، الأمر القطعي.
النتيجة	أنساق ميتافيزيقية دوغمائية.	الشك في الميتافيزيقا والسببية.	تحديد حدود المعرفة وتأسيس الأخلاق.

خاتمة وتأثير الفلسفة الحديثة:

3. مفاهيم أساسية تمت تغطيتها:

خلال رحلتنا، تصارعت الفلسفة الحديثة مع مفاهيم غيرت فهمنا لأنفسنا وللعالم:

- **الذات:** تحولت من جوهر مفكر ثابت (ديكارت) إلى استمرارية للوعي (لوك)، ثم إلى مجرد حزمة من الإدراكات (هيوم)، وأخيراً إلى ذات متعالية (كانط) تنظم التجربة وذات أخلاقية حرة.
- **السببية**: انتقلت من كونها رابطاً ضرورياً في الواقع إلى مجرد عادة ذهنية (هيوم)، ثم أنقذها كانط بجعلها مقولة قبلية ضرورية ولكن فقط في عالم الظواهر. - **الحرية**: تصارعت مع الحتمية، وجدها سبينوزا في فهم الضرورة، بينما جعلها كانط مسلمة ضرورية لعالم الأخلاق، لا يمكن إثباتها ولكن يجب افتراضها.
- **المعرفة:** بدأ البحث عنها كيقين مطلق، ثم تم تحديدها في نطاق التجربة، وأخيراً تم تعريفها كبناء مشترك بين العقل والعالم.

خاتمة وتأثير الفلسفة الحديثة:

4. تأثير الفلسفة الحديثة على العلم:

كان للفلسفة الحديثة علاقة حميمة بالعلم، فقد استلهمت من الثورة العلمية، وحاولت في المقابل أن توفر لها أساساً فلسفياً.

ديكارت ومنهجه الرياضي، وبيكون ومنهجه الاستقرائي، وضعا تصورات مختلفة للمنهج العلمي.

تحليل هيوم للسببية والاستقراء لا يزال يشكل تحدياً لفلسفة العلم حتى اليوم.

أما كانط، فقد قدم التبرير الفلسفي الأقوى لضرورية وكلية قوانين العلم (مثل فيزياء نيوتن)، لكنه في نفس الوقت حذر العلماء من تجاوز حدود التجربة الممكنة وتقديم ادعاءات ميتافيزيقية.

خاتمة وتأثير الفلسفة الحديثة:

5. تأثير الفلسفة الحديثة على السياسة والمجتمع:

كانت الأفكار السياسية للفلسفة الحديثة ثورية بالمعنى الحرفي للكلمة.

نظرية العقد الاجتماعي (بنسخها المختلفة عند هوبز، لوك، وروسو) غيرت مفهوم شرعية السلطة، ونقلتها من الحق الإلهي للملوك إلى موافقة المحكومين.

أفكار جون لوك عن الحقوق الطبيعية (الحياة، الحرية، الملكية) والحكومة المقيدة أصبحت حجر الزاوية في الليبرالية ودساتير دول مثل الولايات المتحدة.

كما أن تركيز كانط على كرامة الفرد كغاية في ذاته قدم أساساً فلسفياً عميقاً لمفهوم حقوق الإنسان العالمي.

خاتمة وتأثير الفلسفة الحديثة:

6. تأثير الفلسفة الحديثة على الفكر المعاصر:

إرث الفلسفة الحديثة يمتد إلى كل فروع الفكر المعاصر.

- الفلسفة القارية: (الوجودية، الظاهراتية، ما بعد الحداثة) استمرت في استكشاف موضوعات الذات، والحرية، والوعي التي بدأها ديكارت وكانط.

- الفلسفة التحليلية: ورثت من التجريبيين، وخاصة هيوم، اهتمامها بتحليل اللغة والمنطق والبحث عن أسس تجريبية للمعرفة.

- علم النفس: وُلد من رحم تحليلات لوك وهيوم وكانط لطبيعة العقل والإدراك.

- العلوم المعرفية: اليوم، في نقاشاتها حول العقل والحاسوب، ما زالت تتصارع مع المشكلة الديكارتية للعقل والجسد.

الجانب العملي

- أسئلة موضوعية: أجب بـــ: (صح أو خطأ)

- 1. كانط يرى أن المعرفة تبدأ بالتجربة الحسية، لكنه يؤكد أن العقل يضيف إليها مقولات قبلية (مثل السببية والوحدة) لتنظيمها، وهو ما يعرف بـ "الثورة الكوبرنيكية" في الفلسفة.
- 2. هذا هو جوهر نظرية هوبز في العقد الاجتماعي كما وردت في كتابه الليفياثان، حيث يتم التنازل عن الحقوق بالكامل للسلطة المطلقة.
- 3. هيوم هو الفيلسوف الذي شكك في ضرورة العلاقة السببية، واعتبرها مجرد عادة نفسية (توقع) ناشئة عن تكرار اقتران حدثين، وليست قانوناً عقلياً ضرورياً.

روابط خارجية

عنوان الفيديو	الرابط
الدكتور علي محمود العمري: دروس في الفلسفة الحديثة	https://youtu.be/CpDhOFf-DA0?si=0_-gQWx5nBOx4ssw
مختصر في تاريخ الفلسفة الحديثة	https://youtu.be/xNx6X2RTrSQ?si=rezH7gOoKmiIlvGW

المراجع

- **أهم المراجع:**

- 1. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، الناشر: مكتبة الدراسات الفلسفية، القاهرة، ط1، 1949م
- 2. أ. وولف، فلسفة المحدثين والمعاصرين، الناشر: لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1944م.
- 3. حسن مجيد العبيدي، من الآخر إلى الذات: دراسات في الفلسفة الحديثة والمعاصرة والفكر الفلسفي العربي المعاصر، الناشر: دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2008م

شكراً لكم